الرؤيـــة

في الرواية العربية المسيطرة يعتمد الروائيون عادة الرؤية العميقة فيقوم الراوي بتحليل الشخصيات وتمحيص المواقف اجتماعيا او سياسيا او نفسيا · وتدعمه عادة كافة الشخصيات فتعبر عن مشاعرها من الداخل مما يعطي القارئ الطمأنينة بانه قد فهم كل ما يجري امامه ، انه دخل الى رؤية عميقة · وليست الحال هنا كذلك · فالراوي يصف لنا خارج الامور فقط :

« احتل المائدة المجاورة لي عجوز من اوروبا وزوجته المزوقة في رصانة وولدان احدهما بلحية طويلة · ثم دخلت فتاة البنطلون الاسود الشقراء في حركة مندفعة وتوقفت برهة تتلفت حولها · كان وجهها ضاحكا · نظرت انا الى المقعد الخالي في مواجهتي لكنها اعطتني ظهرها · وانضمت الى مجموعة اوروبية اخرى تتألف من شابين وفتاة ·

طلب شاب اسمر في الركن زجاجة بيرة جديدة · وكان يبدو انه من العاملين في السد العالي · واوحت ملابسه بأنه عامل ترقى الى مرتبة ملاحظ » · (ص ١٤)·

نلحظ هنا احداثا تجري امامنا لا نرى لها اي تبرير اذ انا لا نرى ما يربط بينها في الاعماق · فالرؤية سطحية جدا · طبعا لا تصل الى درجة التسطيح المطلق فالراوي يؤول لنا بعض الامور : « عجوز من اوروبا ··· اوحت ملابسه بانه عامل ترقى » · هنا يربط الراوي بين المظاهر الخارجية وبين ما ترمز اليه من حقائق · لكن برغم ذلك تبقى النظرة مسطحة جـــدا ·

هذا التسطيح لا يمس الاحداث فقط بل يتعداها الى المسموع ، الى اللغة : « ابتسمت وقالت : باجلستا ·· اخرجت علبة سجائري وقدمت لها سيجارة فتناولتها قائلة : سباسيبا » (ص ٩٤) ·

لا يهم الراوي عدم فهم القارىء للروسية · يبقى على سطح الامور وينقلها كما هي دون تأويل · هكذا يحل الراوي محل الة تصوير تنقل الينا كل ما يقع تحت الحواس بكل امانة لكن دون اي تأويل · هذه هي السطحية · ويقوى هذا الشعور بالسطحية عندما يتكلم الراوي عن نفسه بنفس الطريقة :

« انزلت قاعدة الحمام الخشبية وجلست فوقها بعد ان رفعت ملابسي · وعندما انتهيت ضغطت رافعة معدنية صغيرة الى جوار يدي اليمنى فتسللت المياه تغسلني برفق · واعتدلت واقفا ارتب ملابسي ثم استدرت اتأمل ما فعلت » · (ص ١٤) ·هو على سطح نفسه ايضا ينظر اليها من الخارج بل لا يستطيع البلوغ اليها · فما السبب في هذا العجز المطلق على التواصل حتى مع الذات ·

التشيوء الالـي

رؤية سطحية بمنظور احادي ، فيتفاقم التسطيح · والتسطيح يستتبع التجزؤ ·

« جلست الى جوار النافذة · وبعد لحظة شعرت بوطأة الحر وتجمع العرق على وجهي ففككت ازرار قميصي · وعندئذ تحرك القطار دون ان ينضم احد الى قمرتي وبدأ جهاز